المحاضرة الثانية عشر

الصحافة

I. تأثير الصحافة الفرنسية الاستعمارية

II. تأثير الصحافة المشرقية

III. الصحافة الجزائرية قبل الاستقلال

I. تأثير الصحافة الفرنسية الاستعمارية

كان للصحافة الأوروبية لسان حال المعمرين الأثر البالغ لا شك في توجيه الجزائريين غلى الميدان الصحفي[1] ،إذ حرصت الحكومة الفرنسية منذ أن وطأة قدماها أرض الجزائر

أن تضع إلى جانب أسلحتها الفتاكة سلاح آخر تمثل في رجال الثقافة والإعلام والصحافة[2] وكانت أول جريدة قامت بإصدارها هي "L'éstafette de sidi ferradj"،التي أعدت داخل البواخر الاستعمارية التي غزت الجزائر سنة 1830[3] ومعناها باللغة العربية الساعي الجزائري[4] صدر العدد الأول منها بتاريخ الفاتح من جويلية 1830م وجاء في حجم صغير وفق العنوان شعار للجيش الفرنسي يحتوي على مجموعة من الرايات المعلقة فوق رماح مرشوقة في تاج، وتم إخبار الناس بها تحت عنوان بريد الجزائر، وكان من أهدافها إعلام فرنسا وأعمدتها بجميع انتصارات الجيوش الفرنسية، وبعد ما انتهت صحيفة "بريد الجزائر" أصدرت السلطات الاستعمارية" النشرات العامة" أو ما يعرف "بالمعلقات العامة" التي كانت تعلن من خلالها تعليماتها وقراراتها للشعب الجزائري.

كما أصدرت أيضا بتاريخ 27جوان 1832م جريدة "المرشد الجزائري" الهادفة إلى نشر قرارات القيادة العامة بمقاطعات الجزائر، وهران وعنابة حيث استمرت في الصدور لأكثر من 50 سنة خدمت فيها الاستعمار الفرنسي وقامت بتشويش الرأي العام الجزائري.[5]

كما أصدرت صحيفة ثالثة تحت اسم "النشرة الرسمية لعقود الحكومة" بتاريخ 20 نوفمبر 1834، ثم تغير اسمها إلى " النشرة الرسمية للجزائر ومستعمراتها" وذلك غلى غاية 1861[6].

وأمام هذه الظروف وجد الفرنسيون أنفسهم مضطرين إلى إيجاد وسيلة تخاطب بينهم وبين الجزائريين الذين لا يفهمون لغة المستعمر، وهذه الوسيلة هي تأسيس جريدة باللغة العربية يتوجهون فيها لهم بإعلاناتهم وقوانينهم[7] ،وكانت تلك الجريدة هي جريدة"المبشر" الصادرة عن الولاية العامة بتاريخ 15 سبتمبر 1847م باللغة العربية المكسرة،إلى جانب اللغة الفرنسية وذلك ليس محبة في الجزائريين ولا تقديراً لهم ولكن كونها اللغة الوحيدة التي كان يفهمها الشعب الجزائري[8] كانت تصدر مرتين في الشهر بحجم صغير في ثلاث صفحات وفي كل صفحة أربعة أعمدة ومن حيث قدمها تعتبر الجريدة العربية الثالثة في العالم.[9]

إن الغاية من إصدار جريدة "المبشر"لأهداف استعمارية بحتة وذلك حتي يتمكن الجزائريون الذين لا يفهمون سوى اللغة العربية من الإطلاع عبر صفحات على قوانين والتعاليم التي تصدرها السلطة الاستعمارية وإضعاف روح المقاومة الشعبية لدى الجزائريين.[10]

كما صدرت بالجزائر العاصمة سنة 1899 جريدة"النصيح" لمؤسسها "ادوارد غزان" وهو موظف بالولاية العامة كان يشتغل بالتأليف ومن مؤلفاته قاموس فرنسي عربي باللغة الدارجة كانت هذه الجريدة تحتوي على أخبار مزيفة عن بعض الحوادث المحلية وذلك خدمة للاستعمار الفرنسي وتضليل القراء المسلمين.[11]

ومع الوقت بدأت نخبة من أبناء الجزائر الاحتكاك بالصحافة الاستعمارية خاصة أنهم كانوا على ثقافة عالية، ولعل من بينهم"أحمد بوضربة" الذي كان تاجراً وقنصلا للداي في مدينة مرسيليا بفرنسا وكانت له دراية بأمور السياسة.[12]

كما نجد كذلك "حمدان خوجة" الذي كان ذا ثقافة عربية وفرنسية عالية والاطلاع على أمور الدولة والسياسة، كما أتقن عدة لغات كالإنجليزية والتركية، واشتغل مناصب قريبة من الداي حسين، من مؤلفاته كتاب المرأة وكتاب "إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء".[13]

ومن هنا يمكن القول أن الصحف الفرنسية التي صدرت بالجزائر كانت من بين أهم العوامل التي فتحت باب الصحافة أمام الجزائريين ونبهتهم عن مدى خطورة هذا السلاح، وطرحت في أنفسهم التساؤل عن الدور الفعال الذي يمكن أن تقوم به في مجال الإعلام ، ولا سيما أنهم رأوا تلك الأعداد الهائلة لصحف الفرنسية الصادرة بالجزائر منذ بداية الاحتلال، فقد قام الاستعمار بحركة صحفية واسعة غطت شرق البلاد وغربها، حيث أصدروا في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ما يزيد عن مائة دورية أسبوعية.[14]

II. تأثير الصحافة المشرقية

رغم كل العراقيل والإجراءات التعسفية الجائرة من طرف السلطات الاستعمارية المتمثلة في منع الجزائريين من الاتصال بالمشارقة، وتجلى ذلك من خلال منعهم من الذهاب إلى المشرق العربي وزيارة البقاع المقدسة، ومراقبة دخول الحف العربية والكتب القادمة من المشرق العربي، إلا أن ذلك لم يمنع الجزائريين من الاطلاع على الصحف بوسائلهم الخاصة، وكانوا يتابعون تطور النهضة العربية بشغف من خلال الصحف مثل جريدة المنار.

III. الصحافة الجزائرية قبل الاستقلال

دخلت الصحافة للعالم العربي منذ بداية القرن التاسع عشر مع الحملات الاستعمارية التي قامت بها فرنسا (نابليون) ضد مصر ثم الجزائر، لذا كان من طابعها الأول في البلدان العربية ذو صبغة استعمارية (الصحافة الاستعمارية ناطقة بالفرنسيةهدفها خدمة الاستعمار)، فكان من بين ما حمل في حملة نابليون مطبعة وهيئة التحرير تشرف على إصدار جريدة على أرض الجزائر، فكانت أول جريدة تصدرها بالفرنسية هي:

" l'éstafethe de sidi Ferradje "

تضمنت أخبارا عن الحملة الاستعمارية وتوزيع على جنود فرنسا، ولم تعمد كثيرا لتستبدل بجرائد أخرى استعمارية كجريدة "الأخبار" في 1839.

وبدأ هذا النوع من الصحافة في التطور والتنوع إلى صحف يومية، وأسبوعية ومجلات عامة، ومتخصصة وخصت "الصحافة اليومية" بكثرة المدن الكبرى مثل " الصحافة الحرة" "صدى الجزائر" "جريدة الجزائر" "صدى وهران"...، ومع هذا الازدهار النسبي الذي بلغ عدد الصحف بالجزائر ما يزيد عن 150 صحيفة كان أحسن تصنيف لها ذلك الذي بني على مستوى مضامينها وهو كالآتي:

- **الصحافة الاستعمارية:** بدأت بالصدور عام 1874، صحافة أحباب الأهالي بدأت عام 1882.

- **الصحافة الأهلية:** بدأت بالصدورعام 1893، الصحافة الوطنية الاستقلالية لعام 1903
- **الصحافة الاستعمارية:**التي أشرفت عليها فرنسا امتازت بالاستمرارية بدأت بإصدار جريدة "التبشير" لكن هذه الصحافة لم تكن سوى ركيزة التثبيت الوجود الفرنسي، رغم أنها كانت تصدر باللغة العربية للتأثير على مساعينا أكثر.
- **صحافة أحباب الأهالي:**التسميةتعود إلى أن أصحابها مستعمرون استاءوا من سياسية دولتهم الاستعمارية، فأرادوا إعانة نخبة معينة من المساهمين الجزائريين، حتى لا ييأسوا من الاستعمار في الجزائر، من بين هذه الجرائد "المنتخب 1852، الأخبار، منبر الأهالي".
- **الصحافة الأهلية:** هي التي يقوم بها الجزائريون من ناحية التسيير الإداري والتوزيع، ويتعلق موضوعها بقضايا إسلامية جزائرية، وشؤونهم العامة في علاقتهم بالفرنسيين، ومن بين هاته الفئة "جردية الحق، المغرب"، ومن أهم جريدة "كوكب افريقيا بالجزائر" 1907.
- **صحافة الحركة الوطنية:** يراد بها الصحافة الجزائرية التي لا تعترف بالوجود الفرنسي وتحاربه، وتنشر من يقوي الوعي السياسي بوجود أمة جزائرية، وضرورة استرجاع الاستقلال حتى لو كان بالقوة، وكانت تنطبق باللغتين العربية والفرنسية، وظهرت بالجزائر وخارجها من 1830 و1962، وأهم جرائد الصحافة الوطنية جريدة "المجاهد" التي لعبت دورا هاما في نجاح الثورة، واستمرت في الظهور إلى الاستقلال حتى يومنا هذا.
- **حركة جمعية العلماء المسلمين والصحافة:**كان اهتمام الحركة منصبا على الإصلاح الديني والثقافي، معتبرة إياه الطريقة المثلى لتنديد الرأي العام الجزائري ضد الإيديولوجية الاستعمارية، انطلاقا من فكرة أن تغيير عقليات الناس، قد يؤدي بالضرورة إلى تغيير محيطهم.

وعلى هذا، فقد اتخذ الأمام "عبد الحميد بن باديس" الصحافة منبرا يعلن من فوقه مبادئه للرأي العام، فقد ظهرت في الجزائر صحف بالفرنسية والعربية، قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين، لذلك كان طبيعيا أن تستعين بالصحافة، وتجعلها وسيلة من أهم الوسائل لنشر حركتها الإصلاحية، فبعد إنشاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1931، وجمع شمل العلماء

الذين يؤمنون بالاتجاه الإصلاحي، أنشأ عبد الحميد بن باديس مجلة"المنتقد"سنة 1925وبعد 18 عددا خلفتها جريدة"الشهاب" في نفس السنة لتكون لسان الحركة الإصلاحية، وكانت تصدر في قسنطينة بين 1925-1935، فاعتبرت الصحيفة الرسمية للمدرسة الإصلاحية في الجزائر، حيث عبرت عن أخبار، أهداف، بيانات، بلاغات، وأنشطة الجمعية.

لقد عرفت الجمعية في الفترة الممتدة بين (1931-1935) نوع من الصراع الصحفي بين العلماء والسلطة الإدارية، حيث أنشأت الجمعية الصحفية باسم"السنة"، وبعدما أوقفتها الحكومة، أسست في نفس السنة صحيفة الشريعة في 07 جويلية1933، وصودرت بدورها في نفس السنة في 20 أوت 1933، ثم جريدة"الصراع السنوي"، وهي اسبوعية وصدرت في 11 سبتمبر 1933، أوقفت في جانفي 1934، كما حدت الحكومة في هذه الفترة النشاط الحكومي لبعض أعضاء الجمعية.

الهوامش:

(1) محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية: (نشأتها، تطورها، وأعلامها)، طبعة خاصة، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص25.

(2) الاعلام ومهامه أثناء الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الاعلام والاعلام المضاد، دار القصبة، الجزائر، ص383.

(3) فتيحة أوهابية، الصحافة المكتوبة في الجزائر، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد16، عنابة، 2014، ص253.

(4) عبد العزيز شرف، الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية، ط1، عالم الكتب القاهرة، 2004، ص202.

(5) عبدالقادر كرليل، نشأة الصحافة في الجزائر، مجلة المصادر، العدد11، الجزائر، 2006، ص218-224.

(6) فتيحة أوهابية، المرجع السابق، ص253.

(7) الزبير سيف الاسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ط1، مطابع دار النشر، القاهرة، ص10.

(8) محمد ناصر، المقالة الصحفية، المرجع السابق، ص14.

(9) مروة أديب، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، (د-ط)، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د – ت)، ص114.

(10) محمد ناصر، المقالة الصحفية، المرجع السابق، ص14

(11) زكرياء مفدي، المرجع السابق، ص35.

(12) الزبير سيف الاسلام، المرجع السابق، ص10.

(13) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص132.

(14) محمد ناصر، المقالة الصحفية، المرجع السابق، ص28.

قائمة المراجع والمصادر:

الكتب:

1. محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية: (نشأتها، تطورها، وأعلامها)، طبعة خاصة، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
2. عبد العزيز شرف: الجغرافيا الصحفية وتاريخ الصحافة العربية، ط1، عالم الكتب القاهرة، 2004.
3. الزبير سيف الإسلام: تاريخ الصحافة في الجزائر، ط1، مطابع دار النشر، القاهرة.
4. مروة أديب، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، (د-ط)، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د – ت).
5. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980.

المجلات:

6. فتيحة أوهابية: الصحافة المكتوبة في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد16، عنابة، 2014.

7. عبدالقادر كرليل: نشأة الصحافة في الجزائر، مجلة المصادر، العدد11، الجزائر، 2006.

الملتقيات:

8. الإعلام ومهامه أثناء الثورة، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الأول حول الاعلام والاعلام المضاد، دار القصبة، الجزائر.